المبحث السادس

الدروس الدعوية

١ ـ المسلمون أولى بالإنفاق لدعوتهم من الكفار لباطلهم:

يقول د/ زيدان: «ذكرنا أن كفار مكة تبرعوا بأموالهم التي لهم في تجارتهم التي جاء بها أبو سفيان من الشام، تبرعوا لإعداد جيش يقاتلون به المسلمين انتقامًا لما أصابهم ببدر، وصدًّا عن سبيل الله بمحاربة النبي ﷺ والمسلمين، وفي إنفاقهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الأنفال].

على الدعاة تذكير المسلمين بهذا الأسلوب القديم والحديث في محاربة الإسلام والدعاة إليه، وهو أسلوب إنفاقهم أموالهم للصد عن دعوة الإسلام، ومحاربة الدعاة إليه، عن طريق إنفاقهم أموالهم في طرق شتى، وأساليب مختلفة، وعلى جهات ومؤسسات متنوعة؛ لغرض صد الناس عن دعوة الإسلام، ومحاربة الدعاة إليه.

وهذا الأسلوب الذي تبعه كفار قريش ـ إنفاق أموالهم لمحاربة الإسلام ودعاته عن طريق قتالهم ـ يفعله اليوم أعداء الإسلام ودعاتهم، يقول محمد رشيد رضا ﷺ وهو يفسر هذه الآية التي ذكرناها في إنفاق أموالهم للصد عن سبيل الله، قال: «ومن العبرة في هذا للمؤمنين أنهم أولى من الكفار ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله؛ لأن لهم بها من حيث جملتهم سعادة الدارين؛ ومن حيث أفرادهم الفوز بإحدى الحسنيين... والكفار في هذا الزمان ينفقون القناطير المقنطرة من الأموال للصد عن الإسلام».

[تفسير المنار ـ الأنفال: ٣٦].

فالكفار يبذلون أموالهم للصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين، وفي حرب الدعاة إليه في كل أرض وفي كل حين.

إن أعداء الإسلام لم يتركوا ولن يتركوا الدعاة إليه في راحة وأمن [في ظلال القرآن ٣/ ١٥٠٦ - ١٥٠٧]، فعلى المسلمين أن يقاتلوهم بإنفاق أكثر وجُهد أكبر لإفشال خططهم في محاربة الإسلام ودعاته».

[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩١-١٩٢].

٢ ـ يجب توظيف جميع المواهب والقدرات لدعوة الإسلام:

يقول د/ زيدان: «لقد ذكرنا أن المشركين من شدة حقدهم على المسلمين وعزمهم على محاربتهم والإعداد لهذه الحرب، استعانوا بالشعراء لتحريض القبائل على قتال المسلمين ومعاونة قريش على هذا القتال.

وعلى هذا فيجب على الدعاة حث جميع ذوي المواهب والقدرات من الأدباء والشعراء المسلمين على استعمال مواهبهم وقدراتهم الأدبية والشعرية في سبيل نُصرة الإسلام والدعوة إليه، إن الإسلام

ودعاته يتعرضون اليوم لحملة شرسة من أعداء الإسلام لم يشهد مثلها التاريخ من قبل، فعلى الدعاة تبصير ذوي القدرات والمواهب من المسلمين بهذا الواقع المرعب، فلا يجوز في دين الله أن يعيش الأدباء والشعراء في ترف عقلي وفي خيالات الشعراء وفي نظم القصيد في الحب والغزل ورصد الجمال وإنشاء القصص الخيالية التي تدغدغ أحاسيس الشباب والمراهقين، حرام عليهم أن يفعلوا ذلك ولا يستعملوا شعرهم وأدبهم في الدفاع عن دينهم والدعوة إليه، فقد صار دينهم هينًا على كل من يريد أن يهاجمه بالباطل وبالافتراءات بحجة حرية الرأي...

على الدعاة أن يُبَصِّروا الأدباء والشعراء بذلك، ويثيروا فيهم الغيرة على دينهم، حتى لا يكونوا أقل غيرة وحميَّة على دينهم من غيرة الكفار على باطلهم». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٢].

٣ ـ لابد للأمير من مشاورة أتباعه:

يقول د/ زيدان: «على أمير جماعة الدعاة إلى الله أن يتأسى برسول الله ﷺ ويقتدي به في مشاورته لأصحابه ﷺ، فقد كان ﷺ يشاور أصحابه وهو رسول الله ﷺ وتنفيذًا لأمر الله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فهل يجوز أن يهمل أي رئيس جماعة مسلمة مشاورة أفرادها؟

إن مشاورة أي أمير جماعة مسلمة لأفرادها مطلوبة شرعًا؛ فلا يجوز أن يهملها ولا ألا يأخذ بها، فكيف يجوز لجماعة الدعاة ـ وهي تدعو إلى الله وحسب مناهج الله ـ أن يترك أميرها مشاورة أفرادها من الدعاة فيما يخصُّ أمور الدعوة ومناهجها في التبليغ وسياستها في معالجة الأمور التي تتعلق بها؟

إن ترك المشاورة معصية ومخالفة لشرع الله، والشأن في أمير الجماعة المسلمة ـ جماعة الدعاة ـ ألا يتعمد المعصية والمخالفة لشرع الله، ومنها ترك المشاورة، ولا يصرَّ على هذه المخالفة».

[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٢-١٩٣].

٤ ـ الشورى واجبة ولكنَّها مُعْلِمة وليست مُلزِمة:

ويقول د/ زيدان: «ويجب أن يعلم الدعاة بأن مشاورة أميرهم لهم في شؤون الدولة، وإن كانت واجبة عليه بحكم الشرع، ولكنها مُعلمة غير مُلزمة، بمعنى أن واجب الأمير أن يشاور وليس واجبًا عليه أن يأخذ برأي الأكثرية، فإذا شاور فقد خرج من عُهْدة هذا الواجب ـ واجب المشاورة ـ، أما بأي رأي يأخذ، فهذا متروك له، غير مقيَّدٍ برأي الأكثرية، ولا يُحتج علينا بأن النبي ﷺ كان رأيه عدم الخروج للقاء العدو في أحد والبقاء في المدينة، ولكنه أخذ برأي الأكثرية ـ القاضي بالخروج وعدم البقاء في المدينة ـ لا يحتج علينا بهذا القول بأن الشورى مُلزمة، أي على الأمير أن يأخذ برأي الأكثرية لا يحتج علينا بهذا؛ لأن النبي ﷺ هو رأى أن يأخذ برأي الأكثرية، وليس لأن رأي الأكثرية ملزمٌ للأمير، وكلامنا في مدى التزام الأمير برأي الأكثرية وإلزامه بهذا الرأي وليس كلامنا بجواز الأخذ برأي الأكثرية إذا رأى الأمير ذلك».

[ينظر تفصيل هذه المسألة في كتاب: أصول الدعوة ـ د/ عبد الكريم زيدان]. [المستفاد لزيدان ٢/ ١٩٣].

٥ ـ لا تردد في العزم على التنفيذ بعد المشاورة:

يقول د/ زيدان: «إن الذين رغبوا في الخروج إلى لقاء العدو وعدم البقاء في المدينة، وكانوا هم الأكثرية، ندموا على ما أشاروا به، وألحوا فيه، وقالوا: لقد رأينا غير ما رأى رسول الله ﷺ، فلما خرج ﷺ من بيته ـ بيت عائشة رضي الله عنها ـ وقد لبس لأمته، قالوا: يا رسول الله، إن شئت بقينا في المدينة ولم نخرج، فقال لهم ﷺ: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

وبهذا ألقى النبي ﷺ على أصحابه درسًا بليغًا عاليًا، فللشورى وقتها حتى إذا انتهت جاء وقت العزم على التنفيذ والمُضي فيه مع التوكل على الله، ولم يعد هناك مجال للتردد ولا لإعادة الشورى أو التأرجح بين الآراء، وإنما يجب أن يأخذ العزم طريقه في التنفيذ ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء، [الظلال ١/ ٤٦٠]، فعلى الدعاة وأميرهم أن يفقهوا ذلك.

إن من واجب الأمير أن يشاور، ومن حق أتباعه من الدعاة أن يعلنوا آراءهم وإلى هنا ينتهي أداء الواجب واستيفاء الحق، وبعد ذلك يختار الأمير الذي يراه ويعزم على تنفيذه، ويمضي هو ومن شاورهم بجد في التنفيذ، كما لو كان رأي الأمير الذي اختاره هو رأي كل واحد من الدعاة، لا فرق بين مؤيد له أو معارض له وقت المشاورة، ولا يجوز أن يتردد الأمير في التنفيذ بعد أن عزم على الرأي الذي اختاره، كما لا يجوز للدعاة أن يخالفوا ما اختاره أميرهم، ولا أن يشيعوا بين أفراد الجماعة، أن رأيهم كان خلاف رأي الأمير، وأن رأي الأمير خطأ، ونحن ننفذه ونلتزم به مُكْرَهين، لا يجوز مثل هذا الكلام؛ لأنه يفتح بابًا للشيطان قد يليه انتقادات من بعض الدعاة ثم تمرد على التنفيذ، وهذا ما يريده الشيطان؛ لأنه يطمع أن يتبعه الانشقاق والفُرْقة بين أفراد الجماعة وجماعتهم، فليحذر الدعاة ذلك». [المستفاد لزيدان ٢/ ١٩٣-١٩٤].

٦ ـ يقظة الدعاة لأعداء الدعوة:

يقول أ/ عبَّاد: «لتتعلم الجماعة المسلمة من اهتمام الرسول ﷺ بمعرفة حجم الكفار ومدى تعدادهم وقوتهم أمرًا مهمًّا وهو الاستعداد الكامل للعدو ووضع الخطط المناسبة؛ لأن الدعوة تحتاج إلى عقول تعي وتدرس ما حولها». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٩].

٧ ـ عرض أفراد الصف قدراتهم الدعوية على القيادة:

يقول د/ زيدان: «وفي موقف الشابين رافع وسمرة رضي الله عنهما يرى العلماء أنه: «يجوز لمن يأنس من نفسه القدرة على عمل من أعمال الدعوة أن يعلن ذلك، ويجوز لأمير الجماعة أن يمتحنه ليعرفَ قدرته على العمل الدعوي.

وعلى الدعاة أن يولوا الشباب والفتيان ما يستحقونه من عناية ورعاية، وأن يربوهم على أعمال الجهاد، ومنها: أعمال الدعوة التي تناسبهم، وأن يشدوهم إلى معاني الجهاد حتى يكون شوقهم إلى الجهاد أكثر من شوقهم إلى ما يهواه الصبيان عادة». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٤ -١٩٥].

٨ ـ الحذر من تثبيط المتقاعدين:

يقول د/ زيدان: «على الدعاة ألا يتأثروا بأفعال وأقوال الآخرين فيقعدوا عن العمل الدعويِّ المحمود، وأن يكونوا على حذر شديد منهم ومن تصرفاتهم حتى لا يتأثروا بها، ولا يرددوا أقوالهم التي فيها تثبيط عن أعمال الدعوة أو تشكيك في فائدتها وغير ذلك مما فيه إضعاف للدعاة وإضعاف لجماعتهم». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٥].

٩ ـ تمييز المنافقين وبُعدهم عن الصف فضل من الله على المؤمنين:

يقول أ/ عبَّاد: «المنافقون في كل عصر لا يظهرون إلا في وقت الشدة، وما يتمنونه هو القضاء على الحركة الإسلامية الراشدة وأصحابها، فما فعله عبد الله بن أُبي ليس سببه رفض النبي ﷺ لرأيه وإلا لما سار مع الجيش حتى قارب العدو، ولكن هدفه الرئيس من هذا التمرد هو إحداث بلبلة واضطراب في صفوف الجيش الإسلامي على مرأى ومسمع من العدو، والعمل على انهيار مَنْ بقي من الجيش ورفع معنويات العدو وعلو همتهم عندما يرون ذلك.

وكاد المنافق يحقق هدفه بعدما كاد الاضطراب والاختلاف يحدث داخل الجيش الإسلامي، فقد هَمَّ بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج بالانسحاب والعودة إلى المدينة متأثرين بوساوس ذلك المنافق الكبير وكادت تكون كارثة لو أنهم انسحبوا، غير أن الله تولى هاتين القبيلتين فثبتهما فعدلتا عن الانسحاب واستمرتا على ولائهما للنبي ﷺ حتى نهاية المعركة ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

ولكي تعلم الجماعة المسلمة أن تمييز المنافقين وبُعدهم عن الصف فضل من الله عليهم؛ لأن بقاء مثل هؤلاء ـ بتلك القلوب المتشككة الكارهة، وتلك النفوس المريضة ـ تبث الخور والضعف في أفراد الصف، فهؤلاء المنافقون لا يمثلون قوة للصف بل فتنة وتخاذلًا وتفرقة، وهناك في الصف من يسمع لهم، فإخراجهم من الجماعة المسلمة وبعدهم نعمة ورحمة من الله: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ۖ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة].

والمنافق لا يريد أن يُعَرِّض نفسه للمخاوف والمخاطر، فهو يريد ما في الإسلام من مغانم ويبتعد عما فيه من مغارم، فهو يستمسك بالإسلام لأحد شيئين: غنيمة متوقعة، أو مصائب يريد دفعها، بل ترى المنافق أسرع الناس إلى الشغب والتمرد إذا أقصي من الرئاسة، وهو لها طامح، وعبد الله بن أُبي مثال لهذه الفئة التي تضحي بمستقبل الأمة الإسلامية في سبيل أطماعها الخاصة ومنافعها المادية: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

والدعوات ـ إبان امتدادها وانتصارها ـ تغري الكثير بالانضمام تحت لوائها فيختلط المخلص بالمغرض، والأصيل بالدخيل، وهذا الاختلاط مضر أكبر الضرر بالدعوات وبالجماعة المسلمة، فمن مصلحتها أن تصاب الدعوات والجماعة المسلمة بهزات عنيفة تعزل الخبيث عنها، وقد اقتضت حكمة الله أن يقع هذا التمحيص في «أُحُد» فترى الجبن والنكوص وهما اللذان يكشفان طوية المنافقين فيفتضحوا أمام الناس وأمام أنفسهم ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٥١-٥٣].

١٠ ـ لا يجوز تكثير سواد العدو:

يقول د/ زيدان: «في حادثة انسحاب المنافق ابن سلول وجماعته، لحق بهم الصحابي الجليل «عبد الله بن عمرو ﷺ» والد «جابر بن عبد الله ﷺ» ليردهم عن خروجهم من الجيش؛ وكان مما قاله لهم: «**إذا لم تقاتلوا مع المسلمين فكونوا معهم مكثرين سوادهم**»؛ لأن كثرة سواد المجاهدين مما يرعب العدو ويقوي عزائم المسلمين المجاهدين، «فرفض ابن سلول» ومن معه ما قاله «عبد الله بن عمرو».

فعلى الدعاة: أن يبصِّروا المسلمين بأن تكثير سواد الكفار لا يجوز، ومن مظاهر تكثير سوادهم الاستجابة لدعوتهم لحضور اجتماعاتهم أو مشاركتهم في أعيادهم واحتفالاتهم، وكما أن على الدعاة أن يبصِّروا المسلمين بأن تكثير عدد المسلمين الدعاة إلى الإسلام؛ بإجابة دعوة جماعة الدعاة أو أميرهم إلى حضور اجتماعاتهم أمر واجبٌ.

وعلى الدعاة: في دروسهم وخطبهم أن يذكروا ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره: «واختلف الناس في معنى قوله: ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ فقال السدي وابن جريج وغيرهما: كَثِّروا سوادنا وإن لم تقاتلوا معنا، فيكون ذلك دَفْعًا وقَمْعًا للعدو، فإن السواد إذا كثر حصل دفع العدو.

وقال أنس بن مالك ﷺ: رأيت يوم القادِسِيَّة عبد الله بن أُمِّ مَكْتُوم الأعمى ﷺ وعليه دِرْع يجرُّ أطرافها، وبيده رايةٌ سوداء فقيل له: أليس قد أنزل الله عذرك؟ قال: بلَىٰ! ولكني أُكثِّر «سواد» المسلمين بنفسي.

ورُوي عنه أنه قال: فكيف بسوادي في سبيل الله!». [تفسير القرطبي ٤/ ٢٦٦].

إن المسلمين اليوم في حاجة إلى مثل هذه القصة». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٥ -١٩٦].